شرح
حديث ما ذئبان جائعان

للحافظ ابن رجب الحنبلي
المتوفى سنة ٧٩٥ هجرية

خرّج أحاديثه وعلّق عليها
بدر البدر

دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولي
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م

الناشـــر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٣٢٢٣٠٨ - ٣٢٢٥٢٤ -٠٦. فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ -٠٦
ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشـارقة - الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد . . فهذه رسالة قيمة للحافظ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي ، شرح فيها قول رسول الله ﷺ : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

وقد بين فيها مدى خطورة حرص الإنسان على جمع المال وأنه قد يجر الإنسان الحريص إلى ارتكاب المحظور ، وكذلك حرص الإنسان على نيل الشرف والعلو فهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها ، وأنه قد يؤدي أحيانا إلى الكبر واحتقار الناس .

قلت : وتبرز معاني هذه الرسالة القيمة في وقتنا الحاضر أنها

تعطي علاجاً ناجعاً لأصحاب النفوس المريضة التي ابتليت بحب المال وبذل الغالي والرخيص في سبيل جمعه دون اهتمام لطريقة كسبه سواء كانت من طريق شرعي أو غير شرعي .

فعلى الإنسان المسلم أن ينتبه من الغفلة التي يسببها سلطاني المال والشرف ، حتى لا تفوته فرصة التوبة إلى الله والندم على مافات حين لا ينفع الندم .

ولا يعني قولنا هذا أن جمع المال مذموم في حد ذاته ، ولكنه إن جر الإنسان إلى ما لا تحمد عواقبه من ترك لواجب أوجبه الله عليه أو اقتراف ما نهى الله عنه هناك يكون فعله مذموما فيه .

فقد شبه بعض العلماء المال مثل حية فيها سم وترياق ، فترياقه فوائده وغوائله سمه ، فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره .

* * *

وهذه الرسالة قد نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية التي قام بنشرها محمد منير الدمشقي سنة ١٣٤٦هـ .

وها أنذا أقدمها في ثوبها الجديد ، راجيا من الله العلي القدير أن تنال رضا القارىء الكريم .

وقد قمت بالتعليق على الأحاديث التي ذكرها المصنف ـ رحمه الله ـ وخرجتها وحكمت عليها بما يليق بها بما تقتضيه قواعد علم مصطلح الحديث ، فان أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان .(١)

وأرجو من الله العلي القدير أن يتقبل منا صالح أعمالنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

بدر عبد الله البدر

الكويت في ربيع الثاني ١٤٠١

---

(١) وما كان فيها من أحاديث وآثار لم أعلق عليها ، فيعني أني لم أهتد إليها ، وما كان معزواً إلى مصدر ما ولم أحكم عليه بشيء فيعني أني لم أهتد إلى ترجمة راوٍ في اسناده .

نبذة مختصرة عن المؤلف[1]

* هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب .
* ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ .
* مشايخه محمد بن الخباز ، ابراهيم بن داود العطار ، ومحمد ابن القلانسي وغيرهم .

أقوال العلماء فيه :

* قال ابن فهد : الإمام الحافظ الحجة والفقيه العمدة ، أحد العلماء الزهاد ، والأئمة العباد ، مفيد المحدثين ، واعظ المسلمين . .
* وقال السيوطي : الإمام الحافظ ، المحدث الواعظ ، زين الدين عبد الرحمن . .
* وقال إبن فهد أيضا : كان رحمه الله تعالى إماماً ورعاً زاهداً ،

---

(١) من مقدمة محقق كتاب شرح علل الترمذي للمؤلف باختصار وتصرف .

مالت القلوب بالمحبة إليه ، وأجمعت الفرق عليه ، كانت مجالس تذكيره الناس عامة نافعة ، وللقلوب صادعة .

* وقال ابن العماد الحنبلي : الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، الشيخ الإمام العالم العلامة ، الزاهد ، القدوة . .

مؤلفاته :

* الاستخراج في احكام الخراج (مطبوع) .
* القواعد الفقهية (مطبوع)
* ذيل طبقات الحنابلة (مطبوع)
* فضل علم السلف على علم الخلف (مطبوع) .
* لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (مطبوع) .
* الفرق بين النصح والتعيير (مطبوع)
* شرح جامع الترمذي (مفقود ما وجد منه إلا شرحه على العلل)
* شرح حديث « ما ذئبان جائعان » (وهو كتابنا هذا) . وغيرها كثير .
* توفي سنة ٧٩٥هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بقية السلف الكرام ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام ابن رجب البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى :

أخرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما ذئبان جائعان أُرْسِلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

قال الترمذي : حسن صحيح .(1)

---

(1) أخرجه الطيالسي (٢٢٠١ـ منحة المعبود) وأحمد (٣: ٤٥٦ ، ٤٦٠) ونعيم بن حماد في زوائده على الزهد (١٨١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٨: ٣١٦) والترمذي (٢٣٧٦) والدارمي (٢ : ٣٠٤) وابن ابي =

ورُوي من وجه آخر عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأسامة بن زيد وجابر وأبي سعيد الخدري وعاصم بن عدي الأنصاري ، رضي الله عنهم أجمعين .(٢)

وقد ذكرناها كلها والكلام عليها في كتاب شرح الترمذي .

ولفظ حديث جابر رضي الله عنه : « ما ذئبان ضاريان باتا في غنم غاب رعاؤها بأفسد للناس من حب الشرف والمال لدين المؤمن » .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه : « حب المال » بدل « الحرص » .

فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا ، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلا ، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها .

= الدنيا في القناعة (ق٥٧/٢) وابن حبان (٢٤٧٢ ـ موارد) والبغوي في شرح السنة (١٤ : ٢٥٨) واسناده صحيح كما قال الترمذي . فان قيل : ان في اسناده زكريا بن ابي زائدة وهو مدلس كما في ترجمته من التقريب لابن حجر وغيره وقد عنعن هنا . نقول : قد صرح بالتحديث عند البخاري في تاريخه الكبير (١/١/١٥٠) والله أعلم .

(٢) قلت : أورد الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ : ٢٥٠) جل هذه الروايات ثم عقب على كل رواية بالحكم عليها ، فلتراجع هناك .

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من افساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل ، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من افساد الذئبين لهذه الغنم ، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر ، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل ، كما أنه لا يسلم من الغنم مع افساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل .

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا .

فأما الحرص على المال فهو على نوعين ، أحدهما : شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة .

وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع ، كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي ـ رضي الله عنه ـ قال : اشتريت مائة سهم من سهام خيبر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « ما ذئبان ضاريان ظلا في غنم أضاعها ربها بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه . »[٣]

---

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٥ : ٤٨١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٥٠) وقال : « إسناده حسن » . قلت : اسناده ضعيف ، =

قلت : ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له وقد كان يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فَضَيَّعَهُ بالحرص في طلب رزقٍ مضمونٍ مقسومٍ لا يأتي منه إلا ما قُدِّرَ و قُسِّمَ ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره ، ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره ، فيجمع لمن لا يحمده ويقدم على من لا يعذره ، لكفاه بذلك ذماً للحرص .

فالحريص يضيع زمانه الشريف ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الاسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل :

ومن ينفق الأيام في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قيل لبعض الحكماء : إن فلاناً جمع مالا . فقال : فهل جمع أياما ينفقه فيها ؟ قيل : لا . قال : ما جمع شيئاً .

وفي بعض الآثار الاسرائيلية : الرزق مقسوم والحريص

= فيه سعيد بن عثمان البلوي ، وفيه جهالة كما في التهذيب ، وفيه كذلك عاصم بن ابي البداح ، أورده ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل (٦ : ٣٤١) ولم يورد له لا جرحاً ولا تعديلاً وقد نوه ابن ابي حاتم بروايته لهذا الحديث .

محروم ، ابن آدم ! إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة ؟!

إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً
فمـا أنت في يـوم القيـامـة صـانـع

قال ابن مسعود رضي الله عنه : اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله ، ولا تحسد احداً على رزق الله ، ولا تلوم أحداً على مالم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يـرده كراهة كـاره ، فإن الله بقسـطه جعل الـروح والفرح في اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

وقال بعض السلف : إذا كان القدر حقاً فالحرص بـاطل ، وإذا كان الغدر في الناس طبعاً فالثقة بكل أحد عجز ، وإذا كان الموت لكل أحد راصداً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق .

كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدى أعدائه .

وكان يقول : يا أخوتاه ! لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكسب ولا مال ، وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد ثم يتكبر .

وكان يقول : الحـرص حرصـان ، حرص فـاجع وحـرص

نافع ، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله ، وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا .

فالحرص على الدنيا معذب صاحبه ، مشغول لا يسر ولا يلذ بجمعه لشغله ، فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته لالتفاته لما يفنى وغفلته عما يدوم ويبقى .

ولبعضهم في هذا المعنى :

لا تغبطن أخا حرص على سعة
وانظر إليه بعين الماقت القالي
ان الحريص لمشغول بثروته
عن السرور بما يحوي من المال

ولآخر في هذا المعنى :

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه
مفكراً أي باب منه يغلقه
جَمَعْتَ مالاً ففكر هل جمعت له
يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك إلا يوم تنفقه
ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في ظلها هَمًّا يؤرقه

وكتب بعض الحكماء إلى أخٍ له كان حريصا على الدنيا : أما بعد . فانك أصبحت حريصاً على الدنيا ، تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالاعراض والأمراض والآفات والعلل ، كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً ولا ميتاً عن كثير ولا متبلغاً من الدنيا باليسير .

عاتب اعرابي أخاه على الحرص فقال له : يا أخي ! أنت طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته وتطلب ماقد كفيته ، كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً .

وقال بعض الحكماء : أطول الناس هَمًّا الحسود ، واهنؤهم عيشاً القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص ، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط .

ولبعضهم في هذا المعنى :

الحرص داء قد أضر بمن ترى إلا قليلاً
كم من حريص طامع والحرص صيره ذليلاً

غيره

كم أنت للحرص والأماني عبد
ليس يجديك الحرص والسعي إذا لم يكن جد
ما لما قدره الله من الأمر بد

ولأبي العتاهية يخاطب سلما الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو
اذل الحرص أعناق الرجال

ومن كلام المأمون : الحرص مفسدة للدين والمروءة .

وأنشد بعضهم :

حرص الحريص جنون والصبر حصن حصين
إنْ قَدَّرَ الله شيئاً فإنَّه سيكون

ونازح الدار لا ينفك مغترباً
عن الأحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الارض طوراً ثم مغربها
لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أتاك الرزق في دعة
إن القنوع الغني لا كثرة المال

ولمحمود الوراق :

أيها المتعب جهداً نفسه
يطلب الدنيا حريصاً جاهداً
لا لك الدنيا ولا أنت لها
فاجعل الهمين همًّا واحداً

* * *

النوع الثاني من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة فهذا من الشح المذموم .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُون ﴾ [الحشر : ٩]

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو[٤] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح[٥] ، فإنَّ الشُحَّ أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا . »[٦]

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إتقوا الشح ، فإنَّ الشُحَّ أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[٧] .

---

(٤) في المطبوعة : « عبد الله بن عمر » والتصويب من المصادر التي أخرجت الحديث .

(٥) في سنن أبي داود والمستدرك : « إياكم والشح » .

(٦) أخرجه ابو داود (١٦٩٨) والحاكم (١ : ٤١٥) وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد (٢ : ١٥٩ ، ١٩٥) بلفظ مقارب . قلت : واسناده صحيح ، وله شاهد سيذكره المؤلف عقب هذا الحديث .

(٧) أخرجه أحمد (٣ : ٣٢٣) و مسلم (٤ : ١٩٩٦) والبخاري في الادب المفرد (٤٨٣) والبغوي في شرح السنة (١٤ : ٣٥٧) وفي تفسيره (٧ : ٥٤- بهامش الخازن) .

قال طائفة من العلماء : الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الاشياء من غير حلها ويمنعها حقوقها ، وحقيقته أن تتشوف النفس إلى ما حَرَّم الله وَمَنَعَ منه ، وأن لا يقنع الانسان بما أحله الله له من مال أو فرج أو غيرهما ، فإنَّ الله تعالى أَحَلَّ لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح ، وحرم تناول هذه الأشياء من غير وجه حلها ، وأباح لنا دماء الكفار والمحاربين وأموالهم وحَرَّمَ علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح ، وحَرَّمَ علينا أخذ الأموال وسفك الدماء بغير حقها ، فمن اقتصر على ما أُبيح له فهو مؤمن ، ومن تعدى ذلك إلى ما منع منه فهو الشح المذموم وهو مناف للايمان ، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الشح يأمر بالقطيعة والفجور وبالبخل ، والبخل هو امساك الانسان ما في يده ، والشح تناول ماليس له ظلماً وعدواناً من مال أو غيره ، حتى قيل أنه رأس المعاصي كلها ، وبهذا فسر

= فائدة: قال النووي عند شرحه لهذا الحديث : « قال القاضي عياض : يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ، ويحتمل أنه هلاك الآخرة ، وهذا الثاني أظهر ، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة ، قال جماعة : الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل ، وقيل : هو البخل مع الحرص ، وقيل : البخل في أفراد الأمور ، والشح عام ، وقيل : البخل في أفراد الامور والشح بالمال والمعروف ، وقيل : الشح : الحرص على ماليس عنده والبخل بما عنده » ا.هـ. من شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ : ١٣٤) .

ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف الشح والبخل .

ومن هنا يُعلم معنى حديث أبي هـريرة رضي الله عنـه عن النبي ﷺ أنـه قـال : « لا يجتمـع الشُحُ والإيمــان في قلب مؤمن » .[8]

والحديث الآخر عن النبي ﷺ أنـه قال : « أفضـل الايمان الصبر والسماحة »[9]

---

(٨) هو قطعة من حديث نصه : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أَبَداً » .
أخرجه ابن أبي شيبة (٥ : ٣٤٤) وأحمد (٢ : ٢٥٦ ، ٣٤٣ ، ٤٤١) والنسائي (٦ : ١٣ ، ١٤) وابن حبـان (١٥٩٩ـ مـوارد) والحـاكم (٢ : ٧٢) والبيهقي (٩ : ١٦١) والبغوي في شرح السنة (١٠ : ٣٥٤) واسناده حسن لغيره .
واقتصر الطيالسي (٢١٩٨) على الفقرة المذكورة في هذا الكتاب .
وروى هـذا الحـديث بلفظ مقـارب كـل من أحمـد (٢ : ٣٤٠) والنسـائي (٦ : ١٢ ـ ١٣) والحاكم (٢ : ٧٢) واسناده حسن ، والله أعلم .

(٩) قلت : روي هذا الحديث عن أربعة من الصحابة وهم :
١ ــ عمير بن قتادة الليثي : أخـرج حديثـه البخاري في تـاريخه الكبيـر (٣ / ٢ / ٥٣٠) والحاكم (٣ : ٦٢٦) وسكت عليه ، وضعفه الذهبي ، وعلته بكير بن خنيس وهو صدوق له أغلاط ، وفيه أيضـاً بشار بن الحكم وفيـه ضعف كما في ترجمته من اللسان لابن حجر .
٢ ــ جابر بن عبد الله : أخرج حديثه إبن أبي شيبة في الايمان (٤٣) واسناده صحيح لولا عنعنة الحسن البصري الراوي عن جابر .
وأخرجه عن جابر ابنُ حبان في المجروحين (٣ : ١٣٦) من طريق =

وفسر الصبر بالصبر عن المحارم والسماحة بأداء الواجبات .

وقد يستعمل الشح بمعنى البخل وبالعكس ، ولكن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه .

ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصاً بيناً ، فإنّ منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والايمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل .

- فصل -

وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد هلاكاً من الحرص على المال ، فإنَّ طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال وضرره

= آخر ، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وهو ضعيف .

٣ ــ عمرو بن عبسة : أخرج حديثه أحمد (٤ : ٣٨٥) وفي اسناده شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الأوهام ، ومحمد بن ذكوان الطاحي وهو صدوق سيء الحفظ .

٤ ــ عبادة بن الصامت : أخرج حديثه أحمد (٥ : ٣١٩) وفي اسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور .

قلت : فالحديث صحيح بهذه الطرق ، والله أعلم .

أعظم ، والزهد فيه أصعب ، فإن المال يُبذل في طلب الرياسة والشرف .

والحرص على الشرف على قسمين : أحدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال ، وهذا خطر جداً ، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِيْنَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينْ ﴾ [القَصَص : ٨٣] .

وَقَلَّ مَنْ يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّقْ ، بل يوكل إلى نفسه كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه : « يا عبد الرحمن ! لا تسأل الإمارة ، فإنَّكَ إنْ أُعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإنْ أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها . »(١٠)

قال بعض السلف : ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها .

---

(١٠) أخرجه أحمد (٥ : ٦٢ ، ٦٣) والبخاري (١١ : ٥١٧ ، ١٢ : ٦٠٨ ، ١٣ : ١٢٣ - ١٢٤) ومسلم (٣ : ١٢٧٣ - ١٢٧٤ ، ١٤٥٦) والنسائي (٨ : ٢٢٥) وأبو داود (٢٩٢٩) والترمذي (١٥٢٩) وصححه والدارمي (٢ : ١٨٦) وأبو عوانة (٤ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧) والبيهقي (١٠ : ٣١) والخطيب في تاريخه (١ : ١٨١ ، ٢ : ٤٠٠ ، ٤ : ١٨٩ ، ٢٢٨ ، ١٢ : ٤٢٧ ، ٤٥١) وفي الفقيه والمتفقه (٢ : ١١٦) .

وكان يزيد بن عبد الله بن موهب من قضاة العدل والصالحين ، وكان يقول : من أحب المال والشرف وخاف الدوائر[١١] لم يعدل فيها .[١٢]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « إنَّكُم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة . »[١٣] .

---

(١١) في أخبار القضاة : « الرؤساء » .

(١٢) أخرجه محمد بن خلف - وكيع - في اخبار القضاة (٣ : ٢١٤) واسناده حسن .

(١٣) أخرجه أحمد (٢ : ٤٤٨) و البخاري (١٣ : ١٢٥) والنسائي (٧ : ١٦٢ ، ٨ : ٢٢٥-٢٢٦) وأبو نعيم في الحلية (٧ : ٩٣) والبيهقي (١٠ : ٩٥) والبغوي في شرح السنة (١٠ : ٥٧)

فائدة : قوله ستكون ندامة : أي لمن لم يعمل فيها بما ينبغي ودليله ما أخرجه مسلم عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ! ألا تستعملني ؟ قال : انك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من اخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ، قال النووي : هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ولاسيما لمن كان فيه ضعف ، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل فانه يندم على ما فرط منه اذا جوزي بالخزي يوم القيامة ، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم كما تظاهرت به الاخبار ولكن في الدخول فيها خطر عظيم ، ولذلك امتنع الاكابر منها . قوله : (فنعم المرضعة وبئست =

وفيه أيضاً عن أبي موسى الاشعري - رضي الله عنه - أن رجلين قالا للنبي ﷺ : يارسول الله ! أَمِّرنا . قال : « إنَّا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه . » (١٤) .

واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه ، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد .

وقد صَنَّفَ أبو بكر الآجري - وكان من العلماء الربانيين في اوائل المائة الرابعة - مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنف في ذلك ، ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء والطرائق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم ،

= الفاطمة) نعم المرضعة أي في الدنيا ، وبئست الفاطمة يعني بعد الموت ، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك ، فهو كالذي يفطم قبل أن يستغني فيكون في ذلك هلاكه . وقيل : نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها ، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة .

من فتح الباري لابن حجر (١٣ : ١٢٥ - ١٢٦) باختصار وتصرف .

(١٤) أخرجه البخاري (١٣ : ١٢٥) ومسلم (٣ : ١٤٥٦) وأبو عوانة (٤ : ٤٠٨) والبغوي في شرح السنة (١٠ : ٥٨) .

فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة ، منها أنه قال[١٥] : « قد فتنه حب [الدنياو][١٦] الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا ، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلة الحسناء للدنيا ، ولا يُجَمِّلُ علمه بالعمل به » . . . وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال[١٧] : « فهذه الأخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم ، فبينا هو مقارب[١٨] لهذه الاخلاق اذ رغبت[١٩] نفسه في حب الشرف والمنزلة فأحب[٢٠] مجالسة الملوك وابناء الدنيا وأحب[٢١] أن يشاركهم فيما هم فيه من رخاء[٢٢] عيشهم من منظرٍ[٢٣] بهي ومركب هني وخادم سري ولباس لين ، وفراش ناعم وطعام شهي ، وأحب أن يغشى[٢٤] بابه وأن يسمع قوله ويطاع أمره فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء فطلبه ، فلم[٢٥]

---

(١٥) أخلاق العلماء (ف ١٦٣ ـ ١٦٤) .

(١٦) زيادة من كتاب الآجري

(١٧) (ف ٢٠٠ ـ ٢٠٢)

(١٨) كذا في كتاب ابن رجب ، أما في كتاب الاجري : « مقارن » .

(١٩) في المطبوعة : « ذهبت » . والتصويب من كتاب الاجري .

(٢٠) عند الاجري : « واحب . »

(٢١) عند الاجري : « فأحب . »

(٢٢) عند الاجري : « راخي »

(٢٣) عند الاجري : « منزل » .

(٢٤) في المطبوعة : « يغشى » والتصويب من الآجري .

(٢٥) عند الآجري : «ولم » .

يمكنه إلا ببذل دينه فتذلل للملوك واتباعهم ، فخدمهم بنفسه وأكرمهم بماله وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في ايواناتهم (٢٦) وفي منازلهم من أفعالهم ، ثم قد زين لهم كثيراً من قبيح فعلهم بتأوله الخطأ ليحسن موقعه (٢٧) عندهم ، فلما فعل هذا مدة طويلة واستحكم فيه الفساد وَلَّوْه القضاء فذبحوه (٢٨) بغير سكين (٢٩) فصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فآلم نفسه (٣٠) لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء ، ولم يلتفت إلى غضب مولاه [الكريم] (٣١) فاقتطع أموال اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين وأموال الوقف (٣٢) على المجاهدين وأهل الشرف [و] (٣٣) بالحرمين وأموالاً يعود نفعها على جميع

---

(٢٦) عند الآجري : « ما يظهر من منا كيرهم على أبوابهم . »

(٢٧) في المطبوعة : « موقفه » وما أثبته من الآجري .

(٢٨) في المطبوعة : « فذبح » وما أثبته من الآجري .

(٢٩) اشارة الى قول النبي ﷺ : «من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين . » وفي رواية : « من جعل قاضيا » . أخرجه أحمد (٢ : ٢٣٠ ، ٣٦٥) وأبو داود (٣٥٧١ ، ٣٥٧٢) والترمذي (١٣٢٥) وحسنه ووكيع-محمد بن خلف- في أخبار القضاة (١ : ١١) والحاكم (٤ : ٩١) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (١٠ : ٩٦) والطبراني في المعجم الصغير (١ : ١٧٦ برقم ٤٩٣) والبغوي (١٠ : ٩٢) قلت : واسناده صحيح ، والله أعلم .

(٣٠) عند الآجري : « فألزم نفسه بذلك . »

(٣١) زيادة من الآجري .

(٣٢) عند الآجري : « الوقوف . »

(٣٣) زيادة من الآجري .

المسلمين ، فأرضى بها الكاتب والحاجب والخادم ، فأكل الحرام وأطعم الحرام وكثر الداعي عليه ، فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق ، وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي ﷺ وأمر أن يُستعاذ منه ، وهذا العالم الذي قال فيه النبي ﷺ : « إنَّ أَشَدَّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . »(٣٤)

وكان ﷺ يقول : « اللهم إنِّي أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يُسمع . »(٣٥)

---

(٣٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١ : ١٦٢) والآجري (ف ١٢٨ ، ١٢٩) والطبراني في الصغير (١ : ١٨٣ برقم ٥٠٩) وغيرهم . واسناده ضعيف جداً فيه عثمان بن مقسم البري وهو متهم بالكذب والوضع كما في ترجمته من الميزان للذهبي ؛ وقد ضعف المنذري هذا الحديث في الترغيب والترهيب (١ : ١٢٧)
وقد روي هذا الحديث موقوفا على أبي الدرداء باسناد صحيح . أخرجه كل من ابن المبارك في الزهد (٤٠) والدارمي (١ : ٨٢) وابن عبد البر (١ : ١٦٢) وابي نعيم في الحلية (١ : ٢٢٣) .

(٣٥) أخرجه أحمد (٢ : ٣٤٠ ، ٣٦٥ ، ٤٥١) وابو داود (١٥٤٨) والنسائي (٨ : ٢٦٣ ، ٢٨٤ - ٢٨٥) وابن ماجه (٣٨٣٧) والآجري (ف ٢٠١) والحاكم (١ : ١٠٤ ، ٥٣٤) وصححه في الموضع الاول ووافقه الذهبي وصححه الذهبي في الموضع الثاني ، والبيهقي في الاسماء والصفات (ص٤٤) وابن عبد البر (١ : ١٦١ - ١٦٢) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ٨٨) جميعهم من طريق الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أخيه عباد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اني اعوذ بك من الاربع : من علم لا ينفع . . الحديث » قلت : عباد بن ابي سعيد قال فيه ابن =

وكان عليه السلام يقول : « اللهم إنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً

= حجر : « مقبول . » يعني حيث يتابع وإلا فلين .

وأخرجه من طريق أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به كل من النسائي (٨ : ٢٨٤) وابن ماجه (٢٥٠) والحاكم (١ : ١٠٤) .

قلت : أبو خالد الأحمر صدوق يخطىء كما في التقريب ، وأعل النسائي هذه الرواية بأن سعيداً لم يسمع هذا الحديث من أبي هريرة وإنما سمعه من أخيه عباد عن أبي هريرة كما في الاسناد الأول .

قلت : ولكن يقوي هذا الحديث بأن له شواهد عن عدة من الصحابة وهم :

١ ــ زيد ابن ارقم : أخرجه حديثه أحمد (٤ : ٣٧١) ومسلم (٤ : ٢٠٨٨) والنسائي (٨ : ٢٨٥) والدولابي (١ : ٧٩) والبيهقي في المدخل (ق ٣٥/١) والبغوي (٥ : ١٥٨ـ ١٥٩) .

٢ ــ عبد الله بن عمرو : وله عنه ثلاث طرق : ـ

الاولى : عن عبد الله بن أبي الهذيل عنه . أخرجها أحمد (٢ : ١٦٧) والنسائي (٨ : ٢٥٥) والحاكم (١ : ٥٣٤) وابو نعيم في الحلية (٤ : ٣٦٢)

قلت : واسنادها صحيح .

الثانية : عن زهير بن الأقمر عنه . أخرجها الترمذي (٣٤٨٢) وصححه .

قلت : واسنادها صحيح

الثالثة : عن عبد الله بن ابي الهذيل عن شيخ عن عبد الله بن عمرو به . أخرجها أحمد (٢ : ١٦٧، ١٩٨) وأبو نعيم (٤ : ٣٦٢) واسنادها ضعيف لجهالة الشيخ المذكور .

٣ ـ أنس بن مالك : وله عنه خمسة طرق :

الاولى : أخرجها الطيالسي (١٢٨٢) وأبو خيثمة (١٦٥) واحمد (٣ : ١٩٢، ٢٥٥) وابو يعلى (٢٨٠٨) وابن حبان (٢٤٤٠) والخرائطي في المكارم (٥٥) وابو نعيم (٦ : ٢٥٢) وابن عبد البر في الجامع (١ : ١٦١) والبيهقي في =

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَع »[٣٦]

هذا كله كلام الإمام أبي بكر الآجري رحمه الله تعالى ، وكان في أواخر الثلاثمائة[٣٧] ، ولم يزل الفساد بعده متزايداً على ما ذكرناه أضعافاً مضاعفة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها ، وهو باب غامضٌ لا يَعْرِفُهُ إلا العلماء بالله ، العارفون

= المدخل (ق ١/٣٥) واسنادها صحيح .

الثانية : أخرجها أحمد (٣: ٢٨٣) والحاكم (١ : ١٠٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، قلت : اسنادها حسن ، وليس هو كما قال الحاكم ، فان فيه حفص بن عمر لم يخرج له مسلم كما في ترجمته من التقريب ، وفيه أيضاً خلف بن خليفة روى له مسلم متابعة ، والله أعلم .

الثالثة : أخرجها ابن حبان (٢٤٤١) واسنادها صحيح .

الرابعة : أخرجها البغوي (٥ : ١٥٩) وفيها أبان بن أبي عياش البصري وهو متروك كما التقريب .

الخامسة : أخرجها البيهقي في الشعب (٢/١٦١/٢) وفي اسنادها الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن .

قلت : وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن ابي أوفى .

(٣٦) أخرجه بهذا اللفظ الاجري (٢٠٢) وابن حبان (٢٤٢٦) ، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣) وابو يعلى (١٩٠٩ ، ١٩٦٠ ، ٢١٧٨) وابن عبد البر (١ : ١٦٢) بلفظ : « سلوا الله علما نافعاً ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » . واسناده حسن ، وفي الباب عن أم سلمة أخرجه ابن ماجه وغيره ، والله أعلم .

(٣٧) توفي الآجري رحمه الله سنة ٣٦٠هـ.

به ، المحبون له ، الذين يعادون له من جهال خلقه المزاحمين لربوبيته وإلهيته مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عندالله وعند خواص عباده العارفين به ، كما قال الحسن رحمه الله فيهم : « إنهم وإنْ طقطقت[٣٨] بهم البغال وهملجت[٣٩] بهم البراذين[٤٠] فإنَّ ذل المعصية في رقابهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه . » .

واعلم أن حب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهى وتدبير أمر الناس اذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعاظم عليهم واظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم إليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلهيته ، وربما تسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمرٍ يحتاجون فيه إليه ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه ، ويتعاظم بذلك ويتكبر به ، وهذا لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْساَءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتضَرَّعُون ﴾ [الانعام : ٤٢] وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا في قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إلّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسَاء وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُم يَضَّرَعُونْ ﴾ [الأعراف : ٩٤]

---

(٣٨) الطقطقة : صوت قوائم الخيل على الأرض الصلبة . اللسان (١٠ : ٢٢٥) .
(٣٩) الهملاج : حسن سير الدابة مع التبختر . اللسان (٢ : ٣٩٣) .
(٤٠) البرذون : يطلق على الدابة .

وفي بعض الآثار أن الله تعالى ليبتلى عبده بالبلاء ليسمع تضرعه .

وفي الآثار أيضاً أن العبد إذا دعا الله تعالى وهو يحبه قال الله تعالى : يا جبريل ! لا تعجل بقضاء حاجته، فإني أحب أن أسمع تضرعه .[٤١]

فهذه الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى وأمر من الشرك ، والشرك أعظم الظلم عند الله .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما عذبته . »[٤٢]

كان بعض المتقدمين قاضياً ، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : أنت قاض والله قاض . فاستيقظ منزعجاً وخرج عن القضاء وتركه .

---

(٤١) ورد ذلك بمعناه في حديث قدسي ذكره صاحب كتاب الاتحافات السنية في الاحاديث القدسية وهو الشيخ محمد المدني برقم (٤٣٨) وذكر أن ابن عساكر أخرجه باسناد فيه اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك .

(٤٢) أخرجه أحمد (٢ : ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤) من حديث ابي هريرة مرفوعا به إلا انهم قالوا في الشطر الأخير : « فمن نازعني واحداً (وفي رواية : واحدة ، وفي أخرى : شيئاً) منهما ألقيته في جهنم (وفي رواية : النار .) واسناده صحيح .

وكان طائفة من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعون بقاضي القضاة ، فإن هذاالاسم يشبه ملك الملوك الذي ذم النبيُّ ﷺ التسميةَ به . وقال : « لا مالك إلا الله » . (٤٣) ، وحاكم الحكام مثله أو أشد منه .

ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشرف والولاية أن يُحْمَدَ على أفعاله ويثنى عليه بها ، ويطلب من الناس ذلك ، ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه ، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح ، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر وأَحَبَّ المدح عليه وقصد به في الباطن شراً وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق ، وهذا يدخل في قوله تعالى : ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذين يَفْرَحُون بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِن العَذَابِ . . الآية ﴾ [آل عمران : ١٨٨] فإنَّ هذه الآية إنما أنزلت فيمن هذه صفاته ، وهذا الوصف ـ أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه ـ لا يصلح إلا لله

(٤٣) أخرجه أحمد (٢ : ٢٤٤) والبخاري (١٠ : ٥٨٨) ومسلم (٣ : ١٦٨٨) وأبو داود (٤٩٦١) والترمذي (٢٨٣٧) وصححه والطحاوي في مشكل الاثار (٢ : ١٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (ص ٣٠) وأبو نعيم في الحلية (٧ : ٣١٢) عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجلَ تسمى بملك الأملاك » . وزاد مسلم والبيهقي . « لا مالك إلا الله . »
وأخنع بمعنى أحقر وأوضع .

وحده لا شريك له ، ومن هنا كان ائمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق ، ويأمرون باضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له ، فإنَّ النعم كلها منه .

وكان عُمَر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ شديد العناية بذلك ، وكتب مرة إلى أهل الموسم كتاباً يقرأ عليهم ، وفيه الأمر بالاحسان إليهم وإزالة المظالم التي كانت عليهم ، وفي الكتاب : « ولا تحمدوا على ذلك كله إلّا الله ، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري . »

وحكايته مَعْ المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامىٰ مشهورة ، فإنَّها كانت لها أربع بنات ففرض لاثنتين منهن وهي تحمد الله ، ثم فرض للثالثة فشكرته ، فقال : « إنما كنا نفرض لهن حيث كنت تولين الحمد أهله ، فمرى هذه الثلاث يواسين الرابعة » أو كما قال رضي الله عنه ، أراد أن يُعْرَف أن ذا الولاية إنما هو مُنْتَصَبٌ لتنفيذ أمر الله ، وآمر العباد بطاعته تعالى وناه لهم عن محارم الله ، ناصح لعباد الله بدعائهم إلى الله ، فهو يقصد أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون العزة لله ، وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضاً .

فالمحبون لله غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه

ويفردوه بالعبودية والالهيـة ، فكيف من يزاحمـه في شيء من ذلك ، فهو لا يريد من الخلق جزاءاً ولا شكوراً ، وإنما يرجو ثوابَ عمله من الله كما قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيين بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنْتُمْ تَـدْرُسُون . وَلا يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِـذُوا المَلائِكَـةَ وَالنَّبِيينَ أَرْبَابـاً أَيَـأْمُـرُكُمْ بِـالكُفْـرِ بَعْـدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُـون ﴾ [آل عمــران : ٧٩-٨٠] .

وقال ﷺ : « لا تطروني[٤٤] كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنّما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله . »[٤٥]

وكان رسول الله ﷺ يُنكر على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الأدب ، كما قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، بل قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد . »[٤٦]

---

(٤٤) لا تطروني : بضم الأول ، والاطراء المدح بالباطل ، تقول : أطريت فلاناً : مدحته فأفرطت في مدحه . من فتح الباري (٦ : ٤٩٠) .

(٤٥) أخرجه عبد الرزاق (١١ : ٢٧٣) والبخاري (٦ : ٤٧٨ ، ١٣ : ١٤٤) والدارمي (٢ : ٣٢٠) وأحمد (١ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥) والترمذي في الشمائل (٣٢٣) وأبو يعلىْ (١٤٨) والبيهقي في المدخل إلى السنن (ق ٣٨/١) والبغوي (١٣ : ٢٤٦) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤٦) أخرجه الدارمي (٢ : ٢٩٥) بهذا اللفظ ، واسناده صحيح .

وورد بلفظ : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم =

وقال لمن قال: ما شاء الله وشئت : « أجعلتني لله نداً[٤٧] ؟ بل ما شاء الله . »[٤٨]

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل واتباعهم وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة بل إلى تعظيم الله وحده وافراده بالعبودية والالهية ، ومنهم من كان لايريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده .

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول : ألا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟!

= شاء فلان . » أخرجه أحمد (٥ : ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) وابو داود (٤٩٨٠) وابن السني (٦٦٦) والبيهقي في سننه (٣ : ٢١٦) وفي الاسماء والصفات (ص ١٤٤) والطحاوي في المشكل (١ : ٩٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه واسناده صحيح . إلا أن الأخير منهم قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد . . . الحديث . »

(٤٧) الند : بالكسر : مثل الشيء الذي يضاده في أموره . النهاية لابن الاثير (٥ : ٣٥) .

(٤٨) أخرجه أحمد (١ : ٢١٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) وابن السني (٦٦٧) والطحاوي في المشكل (١ : ٩٠) وابو نعيم في الحلية (٤ : ٩٩) والبيهقي في سننه (٣ : ٢١٧) وفي الاسماء والصفات (ص ١٤٤) والخطيب في تاريخه (٨ : ١٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واسناده حسن .

قلت : وعند بعضهم : «عدلا» بدلا من : « نداً » .

ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ، ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون ، بل راضون بذلك ، فإنَّ المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الأذى في رضى محبوبه ، كما كـان عبد الملك بن عمر بـن عبد العزيز رحمه الله يقول لأبيه في خلافته إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل : يا أبت ! لوددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل .

وقال بعض الصالحين : وددت أن جسمي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل . فعُرِضَ قَوْلُه على بعض العارفين فقال : إنْ كان أراد بذلك النصيحة للخلق وإلا فلا أدري . ثم غشي عليه .

ومعنى هذا أن صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله وأحب أن يفديهم من عذاب الله بأذى نفسه ، وقد يكون لحـظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة ، فود أن الخلق قاموا بذلك وإن حصل له في نفسه غاية الضرر ، وهذا هو مشهـد خواص المحبين العارفين بملاحظته ، فغشي على هذا الرجل العارف .

وقد وصف الله تعالى في كتابه أنَّ المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم .

وفي ذلك يقول بعضهم :

أجد الملامة في هواك لذيذة
حباً لذكراك فليلمني اللوم

القسم الثاني : طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد ، فهذا أفحش من الأول وأقبح أَشَدّفساداً وخطراًفإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه .

قال الثوري : إنما فُضِّلَ العلمُ لأنه يُتَّقَىٰ به الله ، وإلا كان كسائر الأشياء .

فإذا طُلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفاني فهو أيضاً نوعان :

أحدهما أن يطلب به المال ، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة .

وفي هذا جاء الحديث عن النبي ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً في الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » . يعني : ريحها .

خرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ(٤٩)

وسبب هذا ـ والله أعلم ـ أن في الدنيا جنة معجلة وهي معرفة الله ومحبته والأُنس به والشوق إلى لقائه وخشيته وطاعته ، والعلم النافع يدل على ذلك ، فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة ، ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة .

ولهذا كان أشد الناس عذاباً في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وهو من أشد الناس حسرة يوم القيامة ، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلىٰ الدرجات وأرفع المقامات فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخس الأمور وأدناها وأحقرها ، فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها ببعرة أو شيء مستقذر لا يُنتفع به ،

---

(٤٩) أخرجه أحمد (٢ : ٣٣٨) وابو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وابن حبان (٨٩ ـ موارد) والآجري في اخلاق العلماء (ف ١٣٧) والحاكم (١ : ٨٥) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في المدخل (ق ٣٤/٢) وفي الشعب (٢/١٦٠/١) والخطيب في تاريخه (٥ : ٣٤٧ ، ٨ : ٧٨) وفي الفقيه والمتفقه (٢ : ٨٩) وفي الجامع (١ : ٨٤) وفي اقتضاء العلم العمل (١٠٢) والهروي في ذم الكلام (ق ١٦/٢) وابن عبد البر في الجامع (١ : ١٩٠) والقاضي عياض في الالماع (ص ٥٥) . قلت : في اسناده فليح بن سليمان ، وهو صدوق سيء الحفظ كما في التقريب ، ولكنه توبع عند ابن عبد البر في الجامع ، فيصح به الحديث ، والله أعلم .
وسيورد المصنف شواهد لهذا الحديث ويأتي الكلام عليها إن شاء الله .

فهذا حال مَنْ يطلب الدنيا بعلمه ، بل أقبح وأقبح من ذلك من يطلبها باظهار الزهد فيها ، فإنَّ ذلك خداع قبيح جداً .

وكان أبو سليمان الداراني يعيب على من لبس عباءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوي أكثر من قيمة العباءة ، يُشير إلى أنَّ اظهار الزهد في الدنيا باللباس الديني إنما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلق بها بحيث لا يتعلق قلبه بها بأكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر حتى يستوي ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا .

وما أحسن قول بعض العارفين وقد سئل عن الصوفي فقال : الصوفي :

من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى
وذاق الهوى بعد الجفا وكانت الدنيا منه خلف القفا

النوع الثاني : من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم وأن ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم إليه ، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم ونحو ذلك ، فهذا موعده النار ، لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه ، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان .

وفي السنن عن النبي ﷺ : « من طلب العلم ليماري به

السفهاء (٥٠) أو يجاري به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار . »

خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك (٥١) .

وخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه وعنده : « فهو في النار . » (٥٢)

---

(٥٠) أي ليجادل به ضعفاء العقول .

(٥١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) وابن حبان في المجروحين (١ : ١٣٣) والآجري (١٢٧) والحاكم (١ : ٨٦) والبيهقي في الشعب (٢ / ٢/١٦٠) والخطيب في الجامع (١ : ٨٧) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٦) وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، واسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوى عندهم ، تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه . » ا.هـ. قلت : قال عنه ابن حجر في التقريب : « ضعيف » ، ولكنه يتقوى بما سيأتي .
ولم اجد هذا الحديث في مسند كعب بن مالك من مسند الامام احمد ، والله أعلم .

(٥٢) أما حديث ابن عمر فله عنه طريقان : ـ
الاول: أخرجه النسائي كما في تحفة الأشراف (٥ : ٢٤٢) و ابن ماجه (٢٥٨) والترمذي (٢٦٥٥) وحسنه والاجري (ف١٢٥) وفيه انقطاع بين ابن عمر والراوي عنه وهو خالد بن دريك ، كما في ترجمته من التهذيب .
الثاني : اخرجه ابن ماجه (٢٥٣) والهروي (٢/١٦) وفي اسناده ضعيف ومجهول
وأما حديث حذيفة فله عنه ثلاثة طرق : ـ =

وخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحيزوا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار . » (٥٣)

وخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ بنحوه ، وزاد فيه : « ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة . » (٥٤)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا تعلموا العلم

= الأولى : أخرجها ابن ماجه (٢٥٩) والخطيب في الجامع (١ : ٨٦) وفي اسنادها أشعث بن سَوَّار وهو ضعيف .
الثانية : أخرجها الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٠٠) وفيها بشر بن عبيد الدارسي وهو ضعيف اتهم بالكذب .
الثالثة : اخرجها الخطيب في تاريخه (٩ : ٤٤٦ـ ٤٤٧) وفي الجامع (١ : ٨٥ـ ٨٦) وفيها ابو بكر الداهري وهو متروك متهم بالكذب .

(٥٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤) وابن حبان (٩٠ ـ موارد) والهروي (ق ١٦ / ١) والآجري (ف ١٢٦) والحاكم (١ : ٨٦) والبيهقي في المدخل (ق ٣٤ / ٢) وفي الشعب (٢ / ١٦٠ / ٢) وابن عبد البر في الجامع (١ : ١٨٧) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ٨٨) وفي الجامع (١ : ٨٦ـ ٨٧) قلت : واسناده ضعيف ، فيه ابن جريح وابو الزبير وهما مدلسان وقد عنعنا ، ولكن الحديث ثابت ، انظر التعليق على الفقرة التالية .

(٥٤) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ٨٨) عن ابن عدي ، واسناده حسن .

لثلاث : لتماروا به السفهاء ، أو لتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله ، فإنه يبقى ويفنى ما سواه . »(٥٥)

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أول الخلق تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة . . منهم العالم الذي قرأ القرآن ليقال قارىء وتعلم العلم ليقال عالم وأنه يقال له : قد قيل ذلك ، وأمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . » وذكر مثل ذلك في المتصدق ليقال أنه جواد وفي المجاهد ليقال أنه شجاع . (٥٦)

---

(٥٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ٨٨ - ٨٩) واسناده ضعيف ، فيه محمد بن عون الخراساني وهو متروك كما في التقريب .

(٥٦) قلت : أخرج الحديث الذي ذكره المصنف كل من مسلم (٣: ١٥١٤) وأحمد (٢ : ٣٢٢) والنسائي (٦ : ٢٣ - ٢٤) والبيهقي في المدخل (ق ٣٤/ ٢ - ١/٣٥) والخطيب في الاقتضاء (١٠٧) وابن عبد البر في الجامع (٢ : ٢ - ٣) ولكن الحديث الموجود عندهم في أوله : « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة . . الحديث . »

وأما اللفظ الذي أورده وهو : « أول الخلق تسعر بهم النار يوم القيامة . » فقد رواه ابن المبارك في الزهد (٤٦٩) والبخاري في خلق افعال العباد (٣٣٥) والترمذي (٢٣٨٢) وحسنه وابن خزيمة (٤ : ١١٥ - ١١٦) وابن حبان (٢٥٠٢ - موارد) والحاكم (١ : ٤١٩) وصححه ووافقه الذهبي ، وابو نعيم في الحلية (٢ : ١٩٢ ، ٥ : ١٦٩ ، ٦ : ١٤٩) واسناده صحيح .

وعن علي رضي الله عنه قال : يا حملة العلم ! إعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ويخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقاً حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً ، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه إذا جلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل .

وقال الحسن : لا يكون حظ أحدكم من علمه أن يقول له الناس عالم .

وفي بعض الآثار أن عيسى عليه السلام قال : كيف يكون مِنْ أهل العلم مَنْ يطلب العلم ليحدث به ولا يطلبه ليعمل به !

وقال بعض السلف : بلغنا أن الذي يطلب الأحاديث لِيُحَدِّثَ بها لا يجد ريح الجنة ، يعني من ليس له غرض في طلبها إلا أَنْ يحدث بها دون العمل بها .

ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرءة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها والإكثار منها .

روى ابن لهيعة عن عبيد الله [٥٧] بن أبي جعفر مرسلاً عن

---

(٥٧) في المطبوعة : « عبد الله » وهو خطأ

النبي ﷺ قال : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار . » [٥٨]

وقال علقمة : كانوا يقولون : أجرؤكم على الفتيا أقلكم علما . [٥٩]

وعن البراء قال : ادركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسْئَلُ أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه . [٦٠]

وفي رواية : فيردها هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول .

---

(٥٨) أخرجه الدارمي (١ : ٥٧) واسناده ضعيف لارساله ، وليس في اسناده ابن لهيعة ، فلينظر مَنْ أخرجه من طريقه .

(٥٩) ورد بلفظ : « كان يقال : أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علما » .
أخرجه الأجري (١٧١) و عنه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٣) واسناده ضعيف .

(٦٠) قلت : وردت هذه المقالة من قول عبد الرحمن بن أبي ليلى وليس من قول البراء . أخرجها كل من ابن المبارك في الزهد (٥٨) وأبي خيثمة في العلم (٢١) وابن سعد (٦ : ١١٠) والدارمي (١ : ٥٣) والفسوي (٢ : ٨١٧-٨١٨) والآجري في أخلاق العلماء (١٦٩) وابن عبد البر في الجامع (٢ : ١٦٣) وابن الجوزي في التلبيس (ص ١٣٢) واسنادها صحيح .
وأما مقالة البراء فهي : « لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى » .
أخرجها الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٥) وفي إسنادها ابو اسحاق السبيعي وهو صدوق اختلط ومدلس ولم يصرح بالسماع .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إنَّ الذي يفتي الناس في كل مايستفتونه لمجنون . (٦١)

وسئل عمر بن عبد العزيز عن مسألة فقال : ما أنا على الفتيا بجريء .

وكتب إلى بعض عماله : إنّي والله ما أنا بحريص على الفتيا ما وجدت منها بدا .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس احتاجوا إليه ، إنَّما هذا الأمر لمن ودأنه وجد مَنْ يكفيه .

وعنه أنه قال : أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم [فيها] (٦٢) واجهلهم بها أنطقهم . (٦٣)

وقال سفيان الثوري : أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُداً من أن يفتوا ، واذا أُعفوا عنها كان أحب إليهم .

---

(٦١) أخرجه أبو خيثمة في العلم (١٠) وابن بطة في الحيل (ص٥١) وابن عبد البر (٢ : ٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥)والهروي (ق ١/٣١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٩٧ ـ ١٩٨) واسناده صحيح وذكره الهيثمي في المجمع (١ : ١٨٣) وعزاه للطبراني وقال : « رجاله موثوقون » .

(٦٢) زيادة من الفقيه والمتفقه .

(٦٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٦) واسناده ضعيف .

وقال الإمام أحمد : من عَرَّضَ نفسه للفتيا فقد عَرَّضَها لأمر عظيم ، إلا أنه قد تلجىء إليه الضرورة .

قيلَ له : فأيما أفضل : الكلام أم السكوت ؟

قال : الإمساك أحب الي .

قيل له : فاذا كانت الضرورة ؟

فجعل يقول : الضرورة الضرورة ! وقال : الامساك أسلم له .

وليعلم المفتي أنه يُوَقِّعُ عن الله أمره ونهيه ، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك .

قال الربيع بن خُثيم [٦٤] : أيها المفتون ! انظروا كيف تفتون .

وقال عمرو بن دينار لقتادة لما جلس للفتيا : تدري في أي عمل وقعت ؟ وقعت[٦٥] بين الله وبين عباده وقلتَ هٰذا يصلح وهذا لا يصلح [٦٦] .

وعن ابن المنكدر قال : إنَّ العالم داخل بين الله وبين خلقه ،

---

(٦٤) في المطبوعة : « خيثم » وهو خطأ .

(٦٥) في الفقيه والمتفقه : « قمت » .

(٦٦) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٨) .

فلينظر كيف يدخل بينهم .[٦٧]

وكان ابن سيرين اذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .[٦٨]

وكان النخعي يُسْأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحداً تسأله غيري ؟[٦٩]

وقال : قد تكلمت ولوجدت بداً ما تكلمت ، وإنَّ زماناً أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء[٧٠] .

وروي عن ابن عمر[٧١] رضي الله عنه أنه قال : انكم

---

(٦٧) رواه باختلاف في بعض الألفاظ كل من الدارمي (١ : ٥٣) وأبي نعيم في الحلية (٣ : ١٥٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٨) واسناده صحيح .

(٦٨) أخرجه ابن سعد (٧ : ١٩٥) والفسوي في المعرفة والتأريخ (٢ : ٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٢ : ٢٦٤) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٧) واسناده صحيح .

(٦٩) أخرجه بمعناه أبو خيثمة في العلم (١٣١) وابن سعد (٦ : ٢٧٢) وأبو نعيم (٤ : ٢٢٠ ، ٢٢٦) واسناده صحيح .

(٧٠) أخرجه الدارمي (٢٠٢) والآجري (١٧٣) وأبو نعيم (٤ : ٢٢٣) والخطيب في الفقيه (٢ : ١٧٨) . وفي اسناده أبو حمزة ميمون الأعور القصاب ، وهو ضعيف كما في التقريب .

(٧١) في المطبوعة : « عن عمر » والصواب ما أثبته كما في المصادر التي أخرجته .

لتستفتوننا استفتاء قوم [٧٢] كأنا لا نسأل عما نفتيكم به . [٧٣]

وعن محمد بن واسع قال : أول من يُدْعى إلى الحساب الفقهاء .

وعن مالك رضي الله عنه أنه كان اذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار . [٧٤]

وقال بعض العلماء لبعض المفتين : إذا سُئْلتَ عن مَسْألةٍ فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولاً . [٧٥]

وقال لآخر : إذا سُئِلْتَ عن مسألة فتفكر فإنْ وجدت لنفسك مخرجاً فتكلم وإلا فاسكت .

وكلام السلف في هذا كثير جداً يطول ذكره واستقصاؤه .

---

(٧٢) في المطبوعة : « نود » وهو خطأ .

(٧٣) أخرجه الفسوي (١ : ٤٩٠) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٨) واسناده ضعيف فيه سيار أبو الحكم ، قال عنه ابن حجر : مقبول ، يعني حيث يتابع والا فلين .

(٧٤) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٧) واسناده ضعيف لجهالة الراوي عن مالك .

(٧٥) القائل هو عمر بن خلدة الزرقي والمخاطب هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن أخرج هذا الأثر بألفاظ متقاربة كل من الفسوي (١ : ٥٥٦ ـ ٥٥٧) وابن بطة (ص ٤٩) وأبي نعيم في الحلية (٣ : ٢٦٠ ـ ٢٦١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ : ١٦٩) واسناده صحيح .

ومن هذا الباب أيضاً كراهة الدخول على الملوك والدنو منهم وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرئاسات فيها .

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى ابواب السلاطين افتتن . » (٧٦)

وخرج أحمد وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وفي حديثه : « وما ازداد أحد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله بعداً . » (٧٧)

---

(٧٦) قلت : أخرجه أحمد (١ : ٣٥٧) والبخاري في الكنى من تاريخه (ص٧٠) والطبراني في الكبير (١١ : ٥٦-٥٧) وأبو داود (٢٨٥٩) والترمذي (٢٢٥٦) وصححه والنسائي (٧ : ١٩٥- ١٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٤ : ٧٢) وابن عبد البر (١ : ١٦٣- ١٦٤) واللفظ للترمذي إلا أنه قال : « السلطان » بدلا من « السلاطين » .
واسناده ضعيف ، فيه أبو موسى وهو مجهول ، كما في ترجمته من التقريب والتهذيب . ولكن له اسناد آخر عند البيهقي في شعب الايمان (٣/٢/٢٤٨) فبه يتقوى ان شاء الله تعالى .

(٧٧) قلت : أخرجه أحمد (٢ : ٣٧١ ، ٤٤٠) وأبو داود (٢٨٦٠) وابن حبان في المجروحين (١ : ٢٣٣) ، والبيهقي في شعب الايمان (٣/٢/٢٤٨) وفي اسناده الحسن بن الحكم النخعي وهو صدوق يخطىء =

وخرج ابن ماجـه من حديث ابن عبـاس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال : « إن أنـاسـاً من أمتي سيتفقهـون في الـدين ويقـرؤون القرآن ويقـولـون نـأتي الامـراء فنصيب من دنيـاهم ونَعْتَزِلُهُم بديننا ، ولا يكون ذلك ، كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك ، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا . »(٧٨)

وخرجه الطبراني ولفظه : « إن أناساً من أمتي يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يـأتيهم الشيطان يقـول : لو أتيتم الملوك فأصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم ، ألا ولا يكون ذلك ، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك ، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا . »

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « تَعَوَّذوا بالله من جب الحزن . » قـالوا : ومـا جب الحزن ؟ قال : « واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة

= كما في التقريب . قلت : الاسناد الأول يقويه والله اعلم.وروى من طريقه أبو يعلى (١٨٣٩) قوله : « من بدا جفا » فقط.

وللفقرة الأخيرة شاهد من حديث عبيد بن عمير عند أبي نعيم في الحلية (٣ : ٢٧٤) وفي اسناده ليث بن أبي سليم وهو صدوق اختلط .

(٧٨) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥) وفي اسناده الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعن وفيه أيضا عبيد الله بن أبي بردة وهو مقبول أي حيث يتابع وإلا فلين كما في ترجمته من التقريب لابن حجر .

مرة . » قيل : يارسول الله ! من يدخله ؟ قال : « القراء المراءون بأعمالهم . »(٧٩)

وخرج ابن ماجه نحوه وزاد فيه : « وإنَّ من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الامراء الجورة . »(٨٠)

ويروى من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه .

ومن أعظم ما يُخشى علىٰ من دخل على الملوك الظلمة أن يُصَدِّقَهُم بكذبهم ويعينهم علىٰ ظلمهم ولو بالسكوت عن الإنكار عليهم ، فإنَّ مَنْ يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يقدم على الانكار عليهم ، بل ربما حَسَّنَ لهم بعض أفعالهم القبيحة تقرباً إليهم ليحسن موقفه عندهم ويساعدوه على غرضه .

وقد خرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه - عن

---

(٧٩) أخرجه الترمذي (٢٣٨٣) وحسنه . واسناده ضعيف جدا ، فيه ضعيف ومتروك .

(٨٠) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦) بنفس اسناد الحديث السابق . ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ مقارب كما في مجمع البحرين (٤ : ٣٠٧) ومجمع الزوائد (٧ : ١٦٨) وقال الهيثمي : « فيه بكير بن شهاب الدامغاني وهو ضعيف » . أ هـ.

النبي ﷺ قال : « سيكون بعدي أُمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصـــدقهم بكـذبهم فهـــو مني وأنـا منـــه وهـو وارد على الحوض . » (٨١)

---

(٨١) أخرجه أحمد (٤ : ٢٤٣) والنسائي (٧ : ١٦٠ ، - ١٦١) والترمذي (٢٢٥٩) وصححه والخطابي في العزلة ص ٨٦ وابن حبان (١٥٧١ - ١٥٧٣ - موارد) والطبراني في الصغير (١ : ٥٤ برقم ٤٣٣) وأبو نعيم في الحلية (٧ : ٢٤٩) والبيهقي في سننه (٨ : ١٦٥) واسناده صحيح .

واخرجه عنه الترمذي (٦١٤) وحسنه ، وفيه غالب بن نجيح ، وهو مقبول يعني حيث يتابع وإلا فلين .

وأخرجه كذلك برقم (٢٢٥٩) وفيه إبراهيم ، وهو الراوي عن كعب مجهول كما في التقريب .

وأخرجه من طريق آخر الطيالسي (٢٦٠٦ - منحة المعبود) وفي اسناده أبو موسى الهلالي ، وهو مقبول كما في التقريب .

وأخرجه كذلك البيهقي (٨ : ١٦٥) وفي اسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث ، وهو صدوق كثير الغلط ، وفيه أيضا أبو عياش بن النعمان ، وهـو مقبول كما في التقريب .

وقد روى هذا الحديث بأطول من ذلك وباختلاف في الألفاظ من حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن عجرة : « اعاذك الله من أمرة السفهاء . . الحديث »

أخرجه أحمد (٣ : ٣٢١ ، ٣٩٩) والبزار كما في كشف الاستار (٢ : ٢٣١) وقال الهيثمي بعدما عزاه لأحمد والبزار : « رجالهما رجال الصحيح » . أ . هـ .

وخرج الإمام أحمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة رضي الله عنه[٨٢] ، وابن عمر رضي الله عنه[٨٣] وخَبَّاب بن الأرَتّ[٨٤] وأبي سعيد الخدري[٨٥] والنعمان بن بشير[٨٦] رضي الله عنهم .

= قلت : رجاله رجال مسلم ، واسناده حسن . وأخرجه من نفس الطريق كل من ابن حبان (١٥٦٩ـ ١٥٧٠) والحاكم (٣: ٤٨٠ ، ٤: ١٢٧ ، ٤٢٢) وأبي نعيم في الحلية (٨: ٢٤٧) والبغوي في شرح السنة (٨: ٨ـ٩) .

(٨٢) أخرج حديثه أحمد (٥ : ٣٨٤) والبزار كما في كشف الاستار (٢ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠) والطبراني في الكبير (٣٠١٩) وقال الهيثمي في المجمع (٥ : ٢٤٨) : « وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح ورجال أحمد كذلك » . أ هـ .

(٨٣) أخرج حديثه أحمد (٢ : ٩٥) والبزار كما في الكشف (٢ : ٢٤٠) وقال الهيثمي (٥ : ٢٤٧) : « وفيه ابراهيم بن قعيس ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . أ هـ .

(٨٤) أخرج حديثه أحمد (٥ : ١١١ ، ٦ : ٣٩٥) وابن أبي عاصم في السنة (٧٥٧) وابن حبان (١٥٧٤ ـ موارد) والطبراني (٣٦٢٧) وقال الهيثمي (٥ : ٢٤٨) : « رجاله رجال الصحيح خلا عبدالله بن خباب وهو ثقة » .

قلت : عزاه للطبراني فقط ولم يعزه لأحمد وقد أخرجه كما ترى ، وفي اسناده انقطاع بين سماك بن حرب وبين عبدالله بن خباب .

(٨٥) أخرج حديثه الطيالسي (٢٦٠٧ ـ منحة المعبود) وأحمد (٣ : ٢٤ ، ٩٢) وابن حبان (١٥٧٥) وقال الهيثمي (٥ : ٢٤٧) : « وفيه سليمان بن أبي سليمان القرشي ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . أ هـ .

(٨٦) أخرج حديثه أحمد (٤ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وقال الهيثمي (٥ : ٢٤٧) : « فيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . أ هـ .

وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضاً .

وممن نهىٰ عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة .

وقال ابن المبارك : ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم ، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم .

وسبب هذا ما يُخشى من فتنة الدخول عليهم ، فإنَّ النفس قد تخيل للانسان إذا كان بعيداً أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم ، فإذا شاهدهم قريبا مالت النفس إليهم ، لأن محبة الشرف كامنة في النفس له ولذلك يداهنهم ويلاطفهم ، وربما مال إليهم وأحبهم ، ولا سيما إن لاطفوه واكرموه وقَبِلَ ذلك منهم ، وقد جرى ذلك لعبد الله بن طاوس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه طاوس على فعله ذلك .

وكتب سفيان الثوري إلى عَبَّاد بن عَبَّاد ، وكان في كتابه : « إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء ، وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة ، فان ذلك خديعة ابليس ، وإنَّما اتخذها فُجَّارُ القراء سلماً ، وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا

تنافسهم ، وإياك أن تكون ممن يحب أن يُعْمَلَ بقوله أو يُنْشَرَ قوله أو يُسْمَعَ قوله فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه ، وإياك وحب الرئاسة ، فإنَّ الرجل يكون حب الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة ، فتفقد بقلب واعمل بنية ، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهى الرجل أن يموت ، والسلام . » (٨٧)

ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يُشْهِرَ الانسان نفسه بالعلم والزهد والدين أو باظهار الأعمال والأقوال والكرامات ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه وتقبل يده وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه .

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة ، منهم أيوب والنخعي وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين ، وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين ، وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر .

دخل رجل علىٰ داود الطائي فسأله : ما جاء بك ؟ فقال : جئت لأزورك . فقال : أما أنت فقد اصبت خيراً حيث زرت في

---

(٨٧) ذكره أبو نعيم في الحلية (٦ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) .

الله ، ولكن أنا أنظر ماذا لقيت غداً اذا قيل لي : من أنت حتى تُزَار ؟ من الزهاد أنت ؟ لا والله . من العباد أنت ؟ لا والله . من الصالحين أنت ؟ لا والله . . وعَدَّدَ خصال الخير على هذا الوجه ، ثم جعل يوبخ نفسه ويقول : يا داود ! كنت في الشبيبة فاسقاً ، فلما شبت صرت مُرائياً ، والمرائي شر من الفاسق .

وكان محمد بن واسع يقول : لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني . (٨٨)

وكان ابراهيم النخعي إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ في المصحف غطاه . (٨٩)

وكان أُويس وغيره من الزهاد اذا عُـرِفُوا في مكـان ارتحلوا عنه .

وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء ، ويقول لمن يسأله الدعاء : أي شيء أنا ؟

وممن روي عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان

---

(٨٨) ذكره أبو نعيم (٢ : ٣٤٩) بلفظ مقارب واسناده ضعيف، فيه سفيان بن وكيع وفيه مقال .

(٨٩) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٣٦٥) وعنه أبو نعيم (٤ : ٢٢٠) واسناده صحيح .

رضي الله عنهما ، وكذلك مالك بن دينار .

وكان النخعي يكره أن يُسأل الدعاء .

وكتب رجل إلى أحمد يسأله الدعاء فقال أحمد : إذا دَعَوْنا نحن لهذا ، فمن يدعو لنا ؟

ووصف بعض الصالحين اجتهاده في العبادة لبعض الملوك فعزم على زيارته فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق يأكل ، فوافاه الملك وهو على تلك الحالة ، فَسَلَّم عليه فرد عليه السلام وجعل يأكل أكلاً كثيراً ولا يلتفت إلى الملك ، فقال الملك : مافي هذا خير ، ورجع . فقال الرجل : الحمد الله الذي رد هذا عني وهو لائم .

وهذا باب واسع جداً ، وهٰهنا نكتة دقيقة ، وهي أن الانسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يُرِيَ الناس أنه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه بـه وهذا من دقـائق أبواب الرياء ، وقد نَبَّهَ عليه السلف الصالح . قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : كفى بالنفس إطراءً أن تذمها على الملأ كأنك تريد بذمتها زينتها ، وذلك عند الله سفه .

* * *

ـ فصل ـ

وقد تبين بما ذكرنا أن حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه الا ما شاء الله كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى .

قال وهب بن منبه : من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم .

وهذا كلام حسن ، فإنه حُبٌّ يحمل المال والشرف على الرغبة في الدنيا ، وانما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى ، لأن الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها ، والتقوى تمنع(٩٠) من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ . وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوىٰ.وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوى.فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوى ﴾ [النازعات : ٣٧ ـ ٤١]

(٩٠) في المطبوعة : يمنع ، والسياق يقتضي ماأثبته ،والله أعلم .

وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه فقال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه . يا لَيْتَها كَانَتِ القَاضِية . ما أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه** ﴾ [الحاقة : ٢٥ ـ ٢٩] .

واعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها ، ومن هنا نشأ الكبر والحسد ، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقرب به وجواره ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه ، فهذا هو العلو الثاني الذي يذم وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحق .

وأما العلو الأول والحرص عليه فهو محمود ، قال الله تعالى : ﴿ **وَفي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنَافِسُون** ﴾ [المطففون : ٢٦]

وقال الحسن : اذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة .

وقال وهيب بن الورد : إن استطعت أن لا يسبقك الى الله أحد فافعل .

وقال محمد بن يوسف الأصبهاني العابد : لو أن رجلا سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه ، كان ينبغي له أن يحزنه ذلك .

وقال غيره : لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجب .

وقال رجل لمالك بن دينار رأيت في المنام منادياً ينادي : أيها الناس ! الرحيل ، الرحيل ، فما رأيت أحداً ارتحل إلا محمد بن واسع . فصاح مالك وغشي عليه .

ففي درجات الآخرة الباقية يُشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه ، وأن لا يقنع الانسان منها بالدون مع قدرته على العلو .

وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غدا حسرة وندامة وذلة وهوانا وصغارا فهو الذي يشرع الزهد فيه والإعراض عنه ، وللزهد فيه أسباب عديدة ، فمنها نظرُ العبد الى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والامارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة ، ومنها نظر العبد الى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله رداء الكبرياء .

وفي السنن عن النبي ﷺ : « يُحْشَرُ المتكبرون يوم القيامة

أمثال الذر[٩١] في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يُسقون من عصارة أهل النار ، طينة الخبال »

خرجه[٩٢] الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ[٩٣] .

وفي روايةٍ لغيره من وجه آخر في هذا الحديث : « يطؤهم الناس بأقدامهم »[٩٤] .

وفي رواية أخرى من وجه آخر : « يطؤهم الجن والانس والدواب بأرجلهم[٩٥] حتى يقضي الله بين عباده » .

واستأذن رجل[٩٦] عمر رضي الله عنه في القصص على الناس فقال له : اني أخاف أن تقص عليهم فتترفع عليهم في

---

(٩١) الذر : النمل الأحمر الصغير ، واحدتها : ذرة . النهاية (٢ : ١٥٧) .
(٩٢) في المطبوعة : « وخرجه » وهو خطأ .
(٩٣) أخرجه أحمد (٢ : ١٧٩) والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٧) والترمذي (٢٤٩٢) وحسنه ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (١٥١) واسناده حسن .
(٩٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على الزهد (ص ٢٢) وفي اسناده عطاء ابن مسلم الخفاف وهو صدوق يخطىء كثيرا كما في التقريب لابن حجر ، واستنكر أحمد هذا الحديث كما في تاريخ بغداد (١٢ : ٢٩٤) .
(٩٥) في المطبوعة : « بأرجالهما » وهو خطأ .
(٩٦) هو الحارث بن معاوية الكندي كما في مسند أحمد (١ : ١٨) .

نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة . (٩٧)

ومنها نظر العبد الى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة ، فإنَّ مَنْ تواضَعَ لِلَه رَفَعَه . (٩٨)

ومنها ـ وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ـ ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يعجله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة والايمان والطاعة في الباطن وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، وهذه الحياة الطيبة لم يـذقها الملوك

---

(٩٧) أخرجه أحمد في مسنده (١ : ١٨ برقم ١١١) وعنه ابن الجوزي في القصاص (٥٣) ولفظه عندهما : « أخشى عليك أن تَقُصَّ فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقص فترتفع ، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا ، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك » أ هـ .
قلت : أورده الهيثمي في المجمع (١ : ١٨٩) وعزاه إلى أحمد وقال : « والحارث بن معاوية الكندي ـ يعني الراوي عن عمر ـ وثقه ابن حبان وروى عنه غير واحد ، وبقية رجال من رجال الصحيح » . أ هـ.قلت : ووثقه كذلك الفسوي كما في المعرفة والتأريخ ، فالاسناد صحيح ، وقد صححه كذلك السيوطي في تحذير الخواص (ص ١٨٢) ، والله أعلم .

(٩٨) قلت : في الحديث عن رسول الله ﷺ : « من تواضع لله رفعه » .
أخرجه مسلم (٤ : ٢٠٠١) والترمذي (٢٠٢٩) والدارمي (١٦٨٣) من حديث أبي هريرة .

في الدنيا ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف كما قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا[٩٩] عليه بالسيوف .

وَمَنْ رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِبَاس التَقْوى ذَلِكَ خَيْر ﴾ [الاعراف : ٢٦] وقال : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ [فاطر : ١٠]

وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل : « أنا العزيز فمن أراد العزة فليطع العزيز ، ومن اراد عز الدنيا والآخرة وشرفهما فعليه بالتقوى » .

وكان حجاج بن ارطأة يقول : قتلني حب الشرف . فقال له سوار : لو اتقيت الله شرفت .

وفي هذا المعنى شعر :

ألا إنَّمَا التقوى هي العز والكرم
وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيضة
اذا حقق التقوى وان حاك أو حجم

---

(٩٩) في المطبوعة : « لجادلونا » وهو خطأ .

وقال صالح الباجي : الطاعة إمرة والمطيع لله أمير مؤمر على الامراء ، ألا ترى هيبته في صدورهم إن قال قبلوا وان أمر أطاعوا ثم يقول : يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن تذلل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبه ، وكل الخير من عندك بأوليائك .

وقال بعض السلف الصالح : ما اسعد بالطاعة من مطيع إلا وكل الخير في الطاعة ، ألا وان المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة .

وقال ذو النون : من أكرم وأعز ممن انقطع إلى مَنْ ملك الاشياء بيده ؟

دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له : يا أبا سلمة ! مالي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقاً منك ؟ قال : لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء ، وإن أراد أن يكثر به الكنوز خاف من كل شيء .

ومن هذا قول بعضهم : على قدر هيبتك لله يخافك الخلق ، وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق بأشغالك .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً يمشي ووراءه قوم

من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم فخروا على ركبهم هيبة له ، فبكى عمر رضي الله عنه وقال : اللهم إنَّك تعلم أني أخَوَفُ لك منهم فاغفر لي .

وكان العمري الزاهد قد خرج إلى الكوفة إلى الرشيد ليعظه وينهاه فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لونزل بهم عدو مائة ألف نفس لما زادوا على ذلك .

وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيبة له ، وكانَ خواصُّ أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسألة ، فإذا حضروا مجلسه لم يجسروا على سؤاله حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبة له .

وكذلك كان مالك بن أنس يهاب أن يُسأل حتى قال فيه القائل :

يدع الجواب ولا يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
نور الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول : من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليه بوجهه وأقبل بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغير الله

صَرَفَ الله وجهه عنه وصرف قلوب العباد عنه .

وقال محمد بن واسع : إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين .

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لارجعة لي فيها وصرت إلى ربي وحدي وناديته بالاستعانة : إلهي ! أدعوك دعاءَ مَن لم يبق له غيرك . فلما عرف صدق الدعاء من قلبي واليأس من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أنْ أنْساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم .

وكان يُزار من البلدان ، فلما رأى ازدحام الناس عليه قال :

وليتني صرت شيئاً من غير شيء أعد
أصبحت للكل مولى لأنني لك عبد
وفي الفؤاد أمور ما تستطاع تعد
لكن كتمان حالي أحق بي وأسد

كتب وهب بن منبه إلى مكحول : أما بعد ! فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلة ، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى ، واعلم أن احدى المنزلتين تمنع من الأخرى .

ومعنى هذا أن العلم الظاهر من تَعْلُّم الشرائع والاحكام

والفتاوى والقصص والوعظ ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة وشرفاً ، والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته ومراقبته والانس به والشوق إلى لقائه والتوكل عليه والرضى بقضائه والإعراض عن عرض الدنيا الفاني والإقبال على جوهر الآخرة الباقي ، كل هذا يوجب لصاحبه عند الله منزلة وزلفى ، واحدى المنزلتين تمنع من الأخرى ، فمن وقف مع منزلته عند الخلق واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق وملازمتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى وانقطع به عنه فهو كما قال بعضهم : ويل لمن كان حظه من الله الدنيا .

وكان السري السقطي يعجبه ما يرى من علم الجنيد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوماً وقد سأله عن مسألة فأجاب وأصاب : أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانك . فكان الجنيد لايزال يبكي من هذه الكلمة .

ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله تعالى بما ذكرنا من العلم الباطن وصل إلى الله فاشتغل به عما سواه ، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ، ومع هذا فإن الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم ، وإن كان لايريد ذلك ولا يقف معه بل يهرب منه أشد الهرب ويفر أشد الفرار خشية أن

يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] أي في قلوب عباده .

وفي الحديث (١٠٠) : « إنَّ الله إذا أحب عبداً نادى : يا جبريل ! إنِّي أُحب فلاناً [فأحبه] فيحبه جبريل ،[ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً] ثم يحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الارض . » (١٠١) .

والحديث معروف ، وهو مخرج في الصحيح .

وبكل حال فَطَلَبُ شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه ، وطلبُ شرف الدنيا لايجا مع شرف الآخرة ولا يجتمع معه ، والسعيدُ من آثر الباقي على الغاني كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من أَحَبَّ دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى . » خرجه الامام أحمد

---

(١٠٠) في المطبوعة : « حديث » والأصوب ما أثبته ، والله أعلم .

(١٠١) أخرجه بألفاظ متقاربة كل من مالك (٤ : ٣٤٨) والطيالسي (٢١٠٣) وأحمد (٢ : ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٤) والبخاري (٦ : ٣٠٣ ، ١٠ : ٤٦١ ، ١٣ : ٤٦١) . من حديث أبي هريرة وما بين المعكوفات زيادة من المصادر المذكورة .

وغيره .[١٠٢]

وما أحسن ما قال أبو الفتح البستي : -

أمـــران مفتـرقـــان لست تــراهمـــا
يـــتـشـــوقـــان لـــخـلطة وتـــلاقـــي
طلب المعـاد مع الـريـاسـة والعلى
فـــدع الـذي يفنى لمـــا هـــو بـــاقي

إلى هنا تَمَّ كلام الحافظ زين الدين ابن رجب على حديث ماذئبان جائعان أرسلا . . . الخ ، والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والعاملين بشرعه إلى يوم الدين .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١٠٢) أخرجه أحمد (٤ : ٤١٢) وابن حبان (٢٤٧٣ ـ موارد) والحاكم (٤ : ٣٠٨) وصححه والبغوي في شرح السنة (١٤ : ٢٣٩) وقال الذهبي : « فيه انقطاع » . قلت:وهو بين الراوي عن أبي موسى وهو المطلب بن عبدالله وبين أبي موسى .

فهرس الآيات القرآنية

الاحاديث المرفوعة

الحديث | الصفحة